الأثر الحقيقي للحرب بين حماس و"إسرائيل"

ترجمة مركز الاتحاد للأبحاث والتطوير

Sarah Feuer/ National Interest

21أيار 2021

ربما تكون الجولة الأخيرة من القتال في غزة قد انتهت، لكن الصراع الإقليمي الأوسع حول شكل الشرق الأوسط سيستمر على المدى الطويل.

مع دخول وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحماس حيز التنفيذ - ولم يتضح بعد ما إذا كان سيصمد - سيتحول الانتباه إلى مكاسب وخسائر أي من الجانبين، ومطالب كل منهما في التوصل إلى تسوية مؤقتة جديدة، وآفاق الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. بشكل عام. ولكن بعيدًا عن تأثير الحرب على الديناميكيات داخل وبين إسرائيل والأراضي الفلسطينية، فإن الأبعاد الإقليمية الأوسع للحرب وتداعياتها تستحق دراسة دقيقة. حتى في الوقت الذي ركز فيه الكثير من التعليقات طوال الحرب على المحفزات المحلية والفورية

وربما الأكثر وضوحًا - الوضع القابل للاحتراق في حي الشيخ جراح في القدس الشرقية، وهو أمر خاطئ من جانب الشرطة الإسرائيلية في إدارة الوصول إلى الأقصى. مسجد للمصلين المسلمين خلال شهر رمضان المبارك، وغضب حماس من قرار السلطة الفلسطينية بتأجيل الانتخابات التي بدت مؤكدة أنها ستؤدي إلى هزيمة حركة فتح - كانت الديناميكيات الإقليمية تلعب دورًا أيضًا. ومثلما ساهموا في الحريق الهائل الأخير، سيكون لهم بلا شك تداعيات في الأيام والسنوات اللاحقة.

لطالما عكست الظروف المحلية، والمظالم، والحركات التي توجّه العلاقات بين إسرائيل وحماس في غزة والسلطة الفلسطينية في الضفة الغربية، صراعًا مستمرًا على النفوذ بين الأطراف المتنافسة على المستوى الإقليمي. التطورات الأربعة في هذا الصراع الأوسع نطاقا في السنوات الأخيرة قدمت الوقود للانفجار الحالي. الأول كان تراجع النفوذ الإقليمي والنفوذ السياسي للحركات الإسلامية السنية المستوحاة من جماعة الإخوان المسلمين(MB) ، بعد صعود قصير تمتعت به في السنوات التي أعقبت الانتفاضات على مستوى المنطقة المعروفة باسم "الربيع العربي". بدأ التراجع مع انقلاب 2013 في مصر الذي أطاح بالنظام الإسلامي لمحمد مرسي (الذي تم انتخابه ديمقراطياً) وكان مدفوعاً بالهزيمة الإقليمية في عام 2018 لما يسمى بالدولة الإسلامية (داعش)، وهي منظمة إرهابية رأى البعض أنها كنوع أكثر تطرفاً من الإسلاموية المستوحاة من جماعة الإخوان. واصل عدد قليل من الجهات الفاعلة في المنطقة، مثل حماس وتركيا وقطر، وعلى رأسهم، تبني وتعزيز أيديولوجية ومصالح الحكم الإسلامي، ولكن بشكل عام، أدى المسار الإقليمي في السنوات العديدة الماضية إلى تقويض معسكر الإخوان المسلمين.

ومن التطورات ذات الصلة تقوية الدول العربية السنية البراغماتية التي كانت قد انحازت، ولو بطريقة فضفاضة، حول أهداف مشتركة لمواجهة إيران وتقليص الإسلاموية السنية، سواء على غرار جماعة الإخوان المسلمين أو سلالات أكثر راديكالية. تقليديًا، وأكثر من ذلك منذ اضطرابات الربيع العربي، سعت الأنظمة في الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ومصر والأردن والبحرين والمغرب إلى شرق أوسط يعطي الأولوية للاستقرار والتنمية الاقتصادية وبشكل عام. علاقات إيجابية مع الغرب، مع تجنب وفي بعض الحالات قمع بنشاط التحركات نحو التحرر السياسي. في تصميمها على صد إيران ومواجهة الحركات الإسلامية، وجدت هذه الدول شريكًا حريصًا في إسرائيل، وعززت اتفاقيات التطبيع في العام الماضي تحالف إسرائيل الناشئ مع الدول البراغماتية السنية، وضخت قدرًا إضافيًا من التماسك والقوة في الكتلة. كان الاستثناء الملحوظ هو العلاقة الإسرائيلية الأردنية، التي تدهورت في السنوات الأخيرة على المستوى السياسي، حتى لو ظل التعاون الأمني سليما إلى حد كبير.

عكست معاهدات اتفاق أبراهم الموقعة في عام 2020 أيضًا اتجاهًا ثالثًا يتعلق بالوقت الحالي، ألا وهو تراجع الأهمية الإقليمية للقضية الفلسطينية. والأهم من ذلك، لم يكن الأمر أن السكان في جميع أنحاء المنطقة لم يتوقفوا عن الاهتمام بالقضية الفلسطينية أو التماهي معها. ولكن من خلال عقد من الاحتجاجات الجماهيرية على أوجه القصور في الحكم المحلي، والحروب الأهلية في أماكن مثل سوريا واليمن، وصعود

وسقوط الدولة الجهادية البدائية في العراق وسوريا، يعد زحفًا إيرانيًا حازمًا بشكل متزايد (وفي معظم الحالات غير مرحب به)، بالإضافة إلى وباء كوفيد -19، فإن النطاق الترددي اللازم للقضية الفلسطينية لتحفيز الجماهير في جميع أنحاء الشرق الأوسط قد تعثرت ببساطة بسبب مسائل أخرى أكثر إلحاحًا أقرب إلى الوطن. في غضون ذلك، خلص بعض القادة بشكل واضح إلى أن عدم وجود حل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي يجب ألا يطغى على المصالح الوطنية الأخرى التي يمكن تعزيزها على الأرجح من خلال تعزيز العلاقات مع إسرائيل.

تتعلق المجموعة الأخيرة من التطورات الإقليمية بالمحور الذي تقوده إيران، والذي كان يُنظر إليه على نطاق واسع على أنه صاعد في العقد الماضي، حيث امتد نفوذ إيران إلى ما وراء لبنان وسوريا ليشمل الميليشيات الشيعية المتحالفة في العراق والمقاتلين الحوثيين التابعين لها في اليمن. على الرغم من تعرض حزب الله (وكيل إيران في لبنان) للكدمات بسبب مشاركته في الحرب السورية لصالح بشار الأسد، إلا أنه ظل حازمًا، حيث جمع ترسانة يعتقد أنها تحتوي على ما لا يقل عن 100000 صاروخ، واستفاد من فوضى وتدمير الصواريخ في العقد الماضي على الجميع ما عدا ابتلاع الدولة اللبنانية. لكن المعسكر الذي تقوده إيران واجه في الآونة الأخيرة نكسات خطيرة، بما في ذلك الحملة العسكرية الإسرائيلية لمنع ترسيخ إيران في سوريا، وسياسة "الضغط الأقصى" لإدارة ترامب المتمثلة في فرض عقوبات على الجمهورية الإسلامية، واغتيال فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإسلامي. قائد القوة، قاسم سليماني (من قبل القوات الأمريكية) وكبير علماء إيران النووي، محسن فخري زاده (من قبل إسرائيل) في عام 2020.

بصمات هذه الاتجاهات الإقليمية الأوسع - تراجع قوة الإسلام السياسي السني، وصعود الدول العربية الاستبدادية المعادية للإسلاميين المتحالفة بشكل متزايد مع إسرائيل، وتضاؤل الأهمية الإقليمية للقضية الفلسطينية، وإيران أقل حزماً، وإن كان لا يزال مصمماً. المخيم - كانت حاسمة، إن لم يكن من الممكن تمييزها على الفور، في مسار حرب غزة الأخيرة. لقد قيل الكثير، على سبيل المثال، عن قرار حماس مهاجمة إسرائيل رداً على تطورات غير ذات صلة ظاهرياً في القدس، حيث تتمتع الحركة ببعض الدعم العام ولكن لا يوجد تمثيل رسمي أو سلطة. هذا القرار، مثل تصميم حماس على تقديم نفسها على أنها المدافع عن الأقصى، وبالتالي حامي الفلسطينيين والمسلمين في كل مكان، كان منطقيًا إذا كان الهدف هو ضخ الحياة في مشروع إسلامي إقليمي ناشئ وتذكير المنطقة بشكل عام المأزق الفلسطيني. على الرغم من كل جهودها لإدارة العلاقات مع إسرائيل مع الاحتفاظ بالشرعية السياسية في الضفة الغربية، لم تضع السلطة الفلسطينية نفسها إقليمياً بأي طريقة ذات مغزى، في تناقض صارخ مع نجاح حماس في الحصول على رعاية من اللاعبين الإقليميين الرئيسيين. ليس من قبيل الصدفة أن الدوحة سمحت بتجمع حاشد شارك فيه إسماعيل هنية القيادي السياسي لحركة حماس وتعهد بالدفاع عن القدس والأقصى. ولا ينبغي أن يكون مفاجئًا أن أشد الإدانات للرد العسكري الإسرائيلي جاءت من أنصار حماس في قطر وتركيا، الذين رأوا بلا شك في الاضطرابات الحالية فرصة لتقويض صعود منافسيهم في المعسكر السني البراغماتي.

هؤلاء الخصوم، وخاصة الدول التي وقعت اتفاقيات التطبيع مع إسرائيل العام الماضي، هم الآن في وضع لا يحسدون عليه. إنهم يواجهون الغضب في الداخل بسبب مقتل المدنيين في غزة نتيجة للعملية العسكرية لحليفهم الجديد هناك، إلى جانب حزن أكثر انتشارًا لأن الاتفاقات لم تفعل شيئًا لتبدأ حقبة من السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين. أظهرت اتفاقيات التطبيع أن إسرائيل يمكن أن تقيم علاقات مع الدول العربية في غياب اتفاق سلام إسرائيلي فلسطيني، مما أدى إلى تعطيل نموذج عمره عقود كان يربط بين الاثنين باستمرار. في الواقع، كانت أهمية الاتفاقات فيما يبدو أنها فصلت القضية الإسرائيلية الفلسطينية عن المشهد العربي الإسرائيلي الأوسع. لوائح الاتهام في الاتفاقات لعدم استبعاد الحرب بين إسرائيل وحماس إما أنها تغفل عن الهدف أو أنها مخادعة. أدانت الدول العربية البراغماتية ووسائل الإعلام التابعة لها أفعال إسرائيل في القدس، لكنها كانت مقيدة ومنصفة في ردود أفعالها على الحملة الجوية الإسرائيلية على غزة. من أجل مقارنة مفيدة، لا يحتاج المرء إلا إلى الرجوع إلى التصريحات التي أصدرتها هذه الأنظمة خلال المواجهة الكبرى الأخيرة بين إسرائيل وحماس في عام 2014. فهي لم تدحض الجولة الأخيرة من الأعمال العدائية بين إسرائيل والفلسطينيين. وعليه، فإن تحول نموذجي سهّل اتفاقيات التطبيع؛ بالأحرى، فإن دعوات حماس لانتفاضة فلسطينية جديدة يمكن فهمها على أنها ردود فعل على هذا الواقع.

في الحرب، هناك أهداف عسكرية وهناك جماهير مستهدفة. استهدف الهجوم الانتقامي الإسرائيلي أنفاق حماس ودمرها إلى حد كبير، لكن الجمهور المستهدف شمل إيران ووكلائها، مذكراً حزب الله وغيره من المتفرجين الذين يشاركونهم نفس التفكير في الحي بالمخاطر التي يواجهونها. في عام 2006، بعد أن أسر حزب الله جنديين إسرائيليين وقتل ثلاثة آخرين في غارة عبر الحدود، ردت إسرائيل بضربات جوية وغزو بري ألحق أضرارًا بالغة بلبنان واعترف حزب الله لاحقًا بأنه استهان به. في حين أن وقف إطلاق النار النهائي ترك الكثيرين في إسرائيل يكافحون لتحديد "انتصار" لقوات الدفاع الإسرائيلية(IDF) ، فإن قوة الرد الإسرائيلي في حرب لبنان الثانية يُنسب إليها منذ ذلك الحين في ردع حزب الله لمدة خمسة عشر عامًا. ربما تكون طهران، التي قدمت لحماس وابن عمها المتمرد، الجهاد الإسلامي الفلسطيني، التمويل والخبرة الفنية لبناء صواريخها، قد استمتعت برؤية إسرائيل تتعرض للنيران في الأسابيع القليلة الماضية. عكست الطائرة بدون طيار المسلحة التي أطلقتها القوات الإيرانية في سوريا (وأسقطها الجيش الإسرائيلي)، مثل الصواريخ الأربعة التي أطلقتها الجماعات التي يُفترض أنها تلقت إذنًا ضمنيًا من حزب الله، تشجيع إيران لحماس من المدرجات. لكن هذه كانت تتماشى مع محور إيراني أكثر صمتًا، وأهمية إيران في الحرب لم يكن لها علاقة في نهاية المطاف بصواريخ أحد الأطراف وأكثر منها علاقة بالرد العسكري للطرف الآخر.

مهما كان الترتيب طويل الأمد الذي سينشأ في نهاية المطاف من الحرب الأخيرة بين إسرائيل وحماس، فسيكون له تداعيات تتجاوز قطاع الأرض الصغير على طول شرق البحر الأبيض المتوسط. أي الأطراف ينتهي بها الأمر إلى تحديد وتنفيذ مثل هذا الترتيب - وعلى وجه الخصوص توازن النفوذ هناك بين مصر، التي أحدثت ضجة من رغبتها في لعب دور نشط في إعادة إعمار غزة، وقطر، التي لا تزال الداعم الرئيسي لحماس - من المرجح أن تؤثر على توازن القوى الإقليمي الأوسع بين المعسكرين البراغماتيين وجماعة الإخوان المسلمين (الأخير الذي كان يغازل إيران مؤخرًا). وإلى الحد الذي تستطيع حماس فيه إظهار المكاسب، لا سيما فيما يتعلق بالقدس، فمن المرجح أيضًا أن تستفيد المجموعة الإقليمية من اللاعبين

المتعاطفين مع الإسلام السياسي. على النقيض من ذلك، إذا تمكنت إسرائيل من تقوية السلطة الفلسطينية بمساعدة حلفائها الجدد في أبو ظبي والمنامة والرباط إلى جانب الحلفاء القدامى في القاهرة وعمان - وجميعهم يشتركون في مصلحة منع حماس من الخروج جرأة من الحرب ولكن جميعهم الذين فشلوا حتى الآن في تزويد السلطة الفلسطينية بنوع الدعم الذي تتمتع به حماس من داعميها الإقليميين - سيكون المعسكر البراغماتي قد تجنب تحديًا خطيرًا. وبالمثل، فإن بقاء اتفاقيات التطبيع مع الإمارات والمغرب والبحرين والسودان سيمثل دفعة كبيرة لهذه الكتلة. ربما تكون الجولة الأخيرة من القتال في غزة قد انتهت، لكن الصراع الإقليمي الأوسع حول شكل الشرق الأوسط سيستمر على المدى الطويل".